أَلدَّلَالَةُ النَّحْوِيَّةُ في سُورَةِ الوَاقِعَةِ

أ.م.د. خليل خلف بشير
جامعة البصرة - كلية الآداب

فحوى البحث

بحث نحوي استدلالي، عرَّج فيه السيد الباحث على نوع من أنواع الدلالات هي الدلالة النحوية في سورة من سور القرآن هي الأكثر تعقيداً في ذلك.

وقد مهَّد للموضوع بمدخل أسماه (مفهوم الدلالة النحوية بين القدماء والمحدثين. ثم فصَّل الحديث في مظاهر الدلالة النحوية في سورة الواقعة التي اشتملت على:

- دلالة الاسم والفعل.
- دلالة التنكير والتعريف.
- دلالة المبني للمجهول.
- دلالة التكرار.

وقد خلا البحث من مسرد بالمصادر والمراجع.

مدخل:
مفهوم الدلالة النحوية بين القدماء والمحدثين:

تعرَّف الدلالة النحوية بأنها ((الدلالة التي تحصل من خلال العلاقات النحوية بين الكلمات التي تتخذ منها موقعاً معيناً في الجملة حسب قوانين اللغة))[١]، إذ أن كل كلمة في التركيب لها وظيفة نحوية من خلال موقعها كالفاعلية والمفعولية، فضلاً عن الأساليب النحوية ومعانيها فمن تلك المعاني تؤخذ الدلالات التي يقصد بها استعمال أسلوب نحوي دون آخر[٢]، وقد سمّى ابن جني هذه الدلالة بالمعنوية[٣].

ولما كان لنظام الجملة العربية أو هندستها ترتيب خاص فإن أي خلل في هذا الترتيب سيؤدي إلى عدم فهم المعنى المراد منها[٤]، وهو ما سماه عبد القاهر الجرجاني «نظرية النظم» التي قرر فيها أن النظم ليس ((إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نُهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها.. . ثم إذا ثبت أن مستنبط صحته وفساده من هذا العلم ثبت أن الحكم كذلك في مزيته والفضيلة التي تعرض فيه، وإذا ثبت جميع ذلك ثبت أن ليس هو شيئاً غير توخي معاني هذا العلم وأحكامه فيما بين الكلم))[٥].

وقد بنى الجرجاني هذا النظم على فكرتي «التعليق» و«ترتيب المعاني في النفس» فهو يقول: ((... لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يَعْلَق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض.. . وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب

(١) ينظر: الدلالة اللغوية عند العرب/ د. عبد الكريم مجاهد ١٩٤.
(٢) ينظر: مصطلحات الدلالة العربية – دراسة في ضوء علم اللغة الحديث/ د. جاسم محمد عبد العبود ١١٠.
(٣) ينظر: الخصائص/ ابن جني ٣/ ١٠٠-١٠١.
(٤) ينظر: دلالة الألفاظ/ د. إبراهيم أنيس ٤٨.
(٥) دلائل الإعجاز/ عبد القاهر الجرجاني: ٦٩، ٧٢.

معانيها في النفس))[٦]، ولعل فكرة التعلق قريبة من فكرة «التماسك» عند النقاد المحدثين، إذ إن تماسك الكلمات خطوة أساسية في بناء الجملة وخطوة مهمة في بناء النص بأسره وبعكسه لا تسمى الجملة جملة[٧]، ومن هنا ظهرت العناية بالجملة بعد عنايتهم بالكلمة فهي -أي الجملة -أهم وحدات المعنى بل أهم من الكلمة نفسها لأن الكلمة لا معنى لها خارج سياق الجملة الذي ترد فيه[٨].

ومن مظاهر العناية أن وجدت نظريات نادت بدمج النحو بالدلالة بعد أن كانا منعزلين كالنظرية الدلالية ورائدها «كانز» و «فودر» اللذان اعتمدا على أفكار تشومسكي في اعتماد البنية السطحية والعميقة للجملة، وكان من آثار هذه النظرية أن دُمج النحو بالدلالة بحيث أن المتكلم الأصلي باللغة يملك قدرة على تمييز الجمل غير الصحيحة نحوياً ودلالياً ويمكنه ملاحظة ظواهر لغوية معينة[٩].

ولكي تكون الجملة صحيحة نحوياً ودلالياً لابد من مجموعة محاور ترتكز عليها هذه الجملة، هي[١٠]:

١. الوظائف النحوية: وهي العلاقات الأساسية التي تمد المنطوق بالمعنى الأساسي، التي سماها الجرجاني معاني النحو[١١].
٢. المفردات المختارة لشغل هذه الوظائف النحوية، فليست القيمة في المفردات في أنفسها ولا في النظام النحوي وحده، وإنما في الاختيار الدقيق بين المفردات والنظام النحوي[١٢].
٣. العلاقات الدلالية المتفاعلة بين الوظائف النحوية والمفردات

(٦) نفسه: ٥٣ -٥٤.
(٧) ينظر: منهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي/ د. سمير شريف ستيتية، مجلة آداب الرافدين، ع١٦، ص ٢٥٦.
(٨) ينظر: النحو والدلالة/ د. محمد حماسة عبد اللطيف ٣٥ -٣٦.
(٩) ينظر: نفسه: ٣٦ -٤٠.
(١٠) ينظر: نفسه: ٤٦.
(١١) ينظر: أقسام الكلام العربي/ د. فاضل الساقي ٢٠٩.
(١٢) ينظر: النحو والدلالة ١٧١.

المختارة ولذلك يفرق الدارسون المحدثون بين معنيين يعدان عنصرين من عناصر دلالة الكلمة هما[١٣]:

أ. المعنى النحوي أو الدلالة النحوية: محصلة العلاقات القائمة بين الكلمات في الجملة.

ب. المعنى المعجمي أو الدلالة المعجمية: معنى الكلمات في المعجم ويسمى هذا المعنى نحوياً متى ما وضع في تركيب معين بطريقة معينة.

٤. السياق الخاص الذي ترد فيه الجملة سواء أكان سياقاً لغوياً أم غير لغوي.

إن مهمة النحو تتوزع في اتجاهات ثلاثة هي[١٤]:

١. رصد الأدوات النحوية الدالة على المعنى الوظيفي الرابط بين المعاني المعجمية مثل: أدوات الجر، والعطف، والشرط، والاستفهام، وأمثالها.

٢. رصد الصيغ التصريفية مثل صيغ الأفعال والمصادر والصفات المشتقة.

٣. رصد التركيبات المختلفة من الجمل كالجملة الاسمية والفعلية والشرطية.

فاللغة تتألف من مجموعة من العناصر المترابطة: أصوات، وصيغ، وتراكيب، ودلالة[١٥]، ويمثل التركيب غاية من أهم الغايات التي يسعى إليها الباحث في اللغة[١٦]. وقد اهتم البحث اللغوي الحديث بدراسة التركيب اللغوي واصفاً ومحللاً له في اللغة الواحدة أو مقارناً إيَّاه في المجموعة اللغوية[١٧]. وقد انعكس هذا الاهتمام بالتركيب حتى أصبح أحد المجالات التي يعنى بدراستها علم اللغة الحديث[١٨].

(١٣) ينظر: الكلمة دراسة لغوية ومعجمية/ د. حلمي خليل ١٣٥.
(١٤) ينظر: البحث النحوي عند الأصوليين،/ د. مصطفى جمال الدين ٢٩٦ -٢٩٧.
(١٥) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية/ د. محمد المبارك٢١، ومناهج البحث اللغوي/ د. نعمة رحيم العزواي ١٦.
(١٦) ينظر: منهج البحث اللغوي ٧٢
(١٧) ينظر: مدخل إلى علم اللغة/ د. محمود فهمي حجازي ٦٧.
(١٨) ينظر: مناهج البحث اللغوي ٢١.

وقد أولى النحاة الأوائل عنايتهم الفائقة بدراسة كلام العرب والوقوف على أساليب التعبير فيه[١٩]، وقد زخرت مؤلفاتهم بكثير من النصوص التي عكست اهتمامهم بالنحو، وإدراكهم بأنَّه لا يقوم على الكلمة المفردة إذ عرَّفه ابن جني بأنه: ((انتحاء سَمْتَ كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع، والتحقير، والتكسير، والإضافة والنسب، والتركيب، وغير ذلك، ليلحق مَن ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإنْ لم يكن منهم))[٢٠].

إنَّ التأمل في قول ابن جني يبين أنَّ النحو يركز على الجملة، ويعكس جمع القدماء للنحو والصرف في علم واحد، إذ إنَّه يتجاوز الإعراب إلى التثنية والتصغير والنسب وغير ذلك من موضوعات الصرف المذكورة في النص.

على أنَّ العرب لهم السبق في ميدان الدراسات اللغوية، ولاسيما الدراسات الدلالية التي عُدَّت من أهم النتائج التي جاء بها الغربيون في مجال الدرس اللغوي، ويشهد لذلك ما تحقق على يد عبدالقاهر الجرجاني، الذي يُعد انجازاً علمياً على المجالات اللغوية كافة، ففي إطار دراسته للنظم أكد على ضرورة وضع الكلام بما يتناسب وعلم النحو، ولابدَّ من تعرف طبيعة الجملة العربية عند النحاة الذين حدَّوها بأنها كل لفظٍ مستقل بنفسه مفيد لمعناه نحو (زيدٌ أخوك)، مركب من كلمتين أُسندت إحداهما إلى الأُخرى. وجعلوا ثمرة هذا التركيب الذي ينعقد به الكلام هي حصول الفائدة[٢١]. ورُبَّما كانت الفائدة التي يقصدها النحويون هي المعنى الذي تؤديه الجملة، فيظهر من خلال الإعراب الذي يُعدُّ من القرائن السياقية التي تساعد على فهم المعنى وتوضيحه بتضافرها مع غيرها من

(١٩) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين/ د. قيس إسماعيل الأوسي ٢٥.

(٢٠) الخصائص ١/ ٣٥.

(٢١) ينظر: نفسه ١/ ١٨.

القرائن الأُخر[٢٢]، ويؤيد هذا ما جاء في حد الإعراب عند النحاة القدماء بأنَّه: ((الإبانة عن المعاني بالألفاظ؛ ألا ترى أنَّك إذا سمعت (أكرم سعيدٌ أباه) و (شكر سعيداً أبوه) علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجاً واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبِهِ))[٢٣].

نستنتج من هذا أنَّ الإعراب جاء للدلالة على المعاني، وأنَّ الكلام إذا ما لازم حالة إعرابية واحدة فإنَّه يستبهم على السامع والمخاطب، ويتعذر عليه فهمه.

وبذلك تبدو نظرة النحاة الأوائل إلى الإعراب أكثر قبولاً من نظرة النحـــــاة المتأخرين الذين ضيقوا مفهومه وجعلوه مقتصراً على إبراز الحركات الإعرابية على آخر الكلمة، وقد تميّزت نظرة المحدثين إلى النحو بالدقة والموضوعية، وذلك للتطور الذي حققه الدرس الحديث في مجال العلوم اللغوية، إذ أصبح من مقرراته أنَّ النحو هو دراسة التركيب، والتركيز على المعاني النحوية دون المعجمية، فضلاً عن توسيعه مفهوم الجملة العربية، والذي جعل تأديتها للمعنىً كاملاً مستقلاً بالفهم شرطاً أساسياً في مفهومها. بغض النظر عمَّا تتألف منه، خلافاً للنحاة القدماء الذين اشترطوا فيها أن تبنى من ركنين أساسيين، هما المسند والمسند إليه، وكلُّ عبارة سواء تكوَّنت من كلمة أو أكثر وأدت معنىً تاماً فهي جملة، فعبارات (سبحان الله)، و (صباحاً) في جواب من يسألك (متى تسافر؟.) جمل تامة لأنَّ كلا منها أفاد معنىً مستقلاً بالفهم[٢٤].

فالجملة عند المحدثين: ((أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنىً مستقلاً بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر))[٢٥].

(٢٢) ينظر: دلالة الإعراب/ د. بتول ناصر قاسم ٤٠.
(٢٣) الخصائص ١/ ٣٦.
(٢٤) ينظر: من أسرار اللغة/ د. إبراهيم أنيس ٢٣٥.
(٢٥) نفسه ٢٣٦.

وقد علَّق الدكتور إبراهيم أنيس على الاستقلالية التي اشترطها معظم النحويين في الجملة ورأى أنَّ الفهم لا يتوقف على الجملة المستقلة، وإنما يدخل فيه كل ما يدور بين المتكلم والسامع والتجارب الماضية، فضلاً عن سياق الكلام[٢٦].

وإنَّ لكل لغة من اللغات نظاماً معيناً في ترتيب كلماتها، وإنَّ أي اختلال أو اختلاف يحصل في نظام الجملة يؤثر في دلالتها؛ لأنَّ تغيير العلاقات النحوية الصحيحة بين الكلمات في التركيب يؤدي إلى عبارة لا معنى لها[٢٧].

فالجمـــلة قد تكون صحيحة البناء من الناحية النحوية، لكنها مضطربة دلالياً، نحو: (خَرَقَ الثوبُ المسمارَ) فهي سليمة من جهة القاعدة النحوية؛ لأنّها جرت على نظام بناء الجملة في النحو العربي (فعـــل –وفاعل – ومفعول)، لكنها شاذة من الناحية المعنوية، وقد جاءها هذا الشذوذ عن طريق العلاقة الدلالية المضطربة بين (الثوب والمسمار) في الجملة[٢٨]، وبهذا يتحدد مفهوم الدَّلالة النحوية بأنها الدَّلالة المستمدة من نظام الجملة وترتيبها[٢٩]، وهي تشمل بذلك ثلاثة أنواع: لفظية (تدل بمطابقة المصدر)، وصناعية (تدل بتضمن الزمان)، ومعنوية (تدل بالالتزام)، والفعل يحتوي الأنواع الثلاثة[٣٠].

وقد شدد معظم الباحثين المحدثين على تلازم النحو والمعنى[٣١]، وفي هذا يقول الدكتور أحمد عبدالستار الجواري: ((إنَّ عزل معاني النحو عن النحو مساءة به بالغة، وجنوح به عن السبيل السوي، أي جنوح وتجريد للنحو من روحه حتى يصير جسماً بلا

(٢٦) ينظر: نفسه ٢٣٦

(٢٧) ينظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن/ عودة خليل أبو عودة ٧٦.

(٢٨) ينظر: ينظر: ابن جني وعلم الدلالة، رسالة ماجستير، نـوال كريم زرزور، آداب المستنصرية، ١٩٨٨، ص٢٥٨.

(٢٩) ينظر: دلالة الألفاظ ٤٨.

(٣٠) ينظر: الخصائص ٣/ ١٠٠.

(٣١) ينظر: أساليب الطلب بين النحويين والبلاغيين ٧٦ – ٨٠.

روح وأهابا بلا محتوى))[٣٢]، وقد أدى اهتمامهم بمعاني التراكيب النحوية إلى أن يذهبوا إلى أنَّ النحو العربي أحوج ما يكون إلى علم المعاني الذي تبدو صلته بالنحو أقوى من صلته بالبلاغة؛ لأنَّه يدرس المعاني الوظيفية للتعبير اللغوي، وبذلك وصفه بعضهم بأنَّه قمة الدراسة النحوية وفلسفتها[٣٣].

ومن مظاهر اتخاذ الدرس اللغوي الحديث المعنى محوراً لكل تحليل مدرسة تشومسكي التحويلية إذ جعلت المعنى عنصراً أساساً في التحليل، وتعمقت بدراسة علاقة المعنى بالنحو[٣٤]، ونجد ملامح ذلك في التراث العربي من ذلك مثلاً في تقسيم سيبويه الكلام على خمسة أقسام: مستقيم حسن، ومستقيم محال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، ومحال كذب[٣٥]، ولهذا يرى د. محمد حماسة أن ثمة تشابهاً بين نظرية سيبويه والجرجاني ومن سار على دربهما ونظرية تشومسكي في تفسير الدلالة[٣٦].

مظاهر الدلالة النحوية في سورة الواقعة

دلالة الاسم والفعل:

ترتكز البنية النحوية للسورة المباركة على وصف نظام الجملة فيها، ونسق العبارة، وكيفية تكوينها انطلاقاً من تقسيم النحويين الجملة الى اسمية وفعلية، وقد تراوحت الجملة في سورة الواقعة بين الاسمية والفعلية، ويرى النحويون أن الاسم يدل على الثبوت في حين يدل الفعل على التجدد والحدوث فإذا قلت (خالد مجتهد) أفاد ثبوت الاجتهاد لخالد في حين أنك إذا قلت (يجتهد خالد) أفاد حدوث الاجتهاد له بعد أن لم يكن، ولعل سر ذلك أن الفعل مقيد بالزمن فالماضي مقيد بالزمن الماضي، والمضارع بالحال أو الاستقبال في حين الاسم غير مقيد بزمن فهو

(٣٢) نحو القرآن/ د. أحمد عبد الستار الجواري ١٦.
(٣٣) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١٨.
(٣٤) ينظر: الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى/ د. حامد كاظم عباس ٢٣٢.
(٣٥) ينظر: الكتاب/ سيبويه ١/ ٢٥-٢٦.
(٣٦) ينظر: النحو والدلالة ١٠٨.

أشمل وأعم وأثبت[٣٧].

والملاحظ أنّ التعبير القرآني يراوح بين الجمل الفعلية المثبتة والجمل الفعلية المنفية، وذلك يوحي بدلالات التوكيد والتجدد في الحدث، ويؤكد ذلك التكرار في النفي (لا يصدعون)، (ولا ينزفون) في قوله تعالى ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ [١٩] فقد برز أسلوب التوكيد اللفظي في السورة لما يحمله هذا الأسلوب من إيحاءات دلالية قرآنية تؤكد الحدث، وتؤكد للمؤمنين ديمومة نعيم الجنة.

وتراوحت الجمل الفعلية وتنوعت بين الماضي الدال على الاستقرار والثبات ولاسيما في تقرير وقوع الواقعة والمضارع بين معلوم ومجهول في قوله تعالى ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾[١]، وقوله ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ [١٩]، وقوله ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴾ [٢٠ – ٢٥]، وقوله ﴿ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴾ [٣٦].

أما الجمل الاسمية التي دلت على معنى الثبات والاستقرار نحو قوله تعالى ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ﴾ [١٦] فلم يقل: يتكئون وكذا لم يقل: يتقابلون لأنّ الفعل يدل على عدم الاستقرار، وتتوالى الجمل الاسمية ولاسيما المؤكدة بـ (إنّ)، وهذا ما يزيد في توكيد ثبوتها واستقرارها كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴾ [٣٥]، وقوله ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ [سورة الواقعة: ٤٥]، وقوله ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [سورة الواقعة: ٤٩ – ٥٠]، وقوله ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [سورة الواقعة: ٧٦]. قال الطبرسي في تفسير قوله تعالى ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ [٣٠]: ((أي دائم لا تنسخه الشمس فهو باق لا يزول، والعرب تقول: لكل شيء طويل لا ينقطع: ممدود))[٣٨]، وكذا في تفسيره قوله تعالى ﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾

(٣٧) ينظر: معاني الأبنية في العربية/ د. فاضل السامرائي ٩.

(٣٨) مجمع البيان/ الطبرسي ٩/ ٣٤٥.

[٣٣]: ((أي لا تنقطع كما تنقطع فواكه الدنيا في الشتاء، وفي أوقات مخصوصة، ولا تمتنع ببعد متناول أو شوك يؤذي العين، كما يكون ذلك في الدنيا))[٣٩].

دلالة التنكير والتعريف:

اشتملت هذه السورة الكريمة على أحوال يوم القيامة، وما يكون بين يدي الساعة من أهوال، وأقامت الدلائل على وجود الله ووحدانيته، وكمال قدرته في بديع خلقه وصنعه، في خلق الإنسان، وإخراج النبات، وإنزال الماء، وما أودعه الله من القوة في النار.. ثم نوهت بذكر القرآن العظيم، وأنه تنزيل رب العالمين، وما يلقاه الإنسان عند الاحتضار من شدائد وأهوال، وهذا مناسب للكلمات المنكرة ففي الغالب هي أسماء غير معروفة أو قد تكون من الأمور الغيبية التي لا تعرف حقيقتها على وجه الدقة ففي التنكير مجال للخيال الإنساني في أن يحلق في أجواء النعيم الذي ينتظره السابقون المقربون فهم يستحقون التكريم في وصفهم بكونهم (متكئين، ومتقابلين، وعلى سرر موضونة، ووالدان مخلدون، بأكواب وأباريق، وحور عين، لغواً ولا تأثيماً، سلاماً سلاماً، وطلح منضود، وظل ممدود)، وغيرها من الكلمات التي تعج بها السورة المباركة فهذه النعم التي يحظى بها المقربون تعد من الغيبيات التي لا يدركها البصر بل تتخيلها البصيرة بوساطة منح التعبير القرآني النكرة معنى العموم الذي يستغرق أفراد الجنس دون أن يكون بلفظ يفيد العموم بذاته أو أن تقع النكرة في سياق نفي أو استفهام[٤٠].

ولعل في دلالات االتنكير والتعريف ما يكشف عن إعجاز القرآن الكريم وعظيم بيانه فقد لجأت السورة الى التعريف والتنكير بناءً على ماهية الاسم ومدى شيوع تناوله فإذا كانت الكلمة حاضرة في الذهن جعل حضورها قريباً من المعرفة مثال ذلك الواقعة التي

(٣٩) نفسه ٩/ ٣٤٥، وينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ١٨٢٧.

(٤٠) ينظر: دراسات قرآنية في جزء عم/ د. محمود أحمد نحلة ٢٠٣.

جاءت معرفة؛ لأنّ مدلولها حاضر الذهن إذ تشير الى يوم عظيم هو يوم القيامة وتوالت الكلمات التي تقترب من المعنى نفسه في سور أخرى مثل: الطامة والقارعة والحاقة، وقد جاءت هذه الأسماء معرفةً تعظيماً أو تهويلاً لشأنها، ومن هنا جاءت أسماء (الميمنة، والمشأمة، والسابقون، واليمين، والشمال، والجبال وغيرها) معرفة للسبب نفسه. فهي في سياق المؤمنين تدل على التعظيم والتكريم، وفي سياق الكافرين والمنافقين تدل على التحقير والتهويل والإهانة.

دلالة المبني للمجهول:

وفي البناء للمجهول الذي يكثر في آيات القيامة في عموم القرآن من ذلك في سورة الحاقة، والنبأ، والفجر، والمرسلات، والتكوير، والعاديات فضلاً عن سورة الواقعة وقد وقفت عند هذه الظاهرة د. عائشة عبدالرحمن وسمتها «ظاهرة الاستغناء عن الفاعل» وأحصت الآيات الدالة عليها مؤكدة حقيقة هي أن القران الكريم يصرف الحدث عمدا عن محدثه أما بالبناء للمجهول كقوله تعالى ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ [سورة الزلزلة: ١]، او بالمطاوعة نحو قوله تعالى ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾ [سورة الانفطار: ١ -٢] أو بالإسناد المجازي نحو قوله ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴾ [سورة ق: ٤٤][٤١]، وما ورد في هذه السورة في قوله تعالى ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ [سورة الواقعة: ٤ -٥] دلالة على الترفع عن ذكر الفاعل مما يحفز الذهن للبحث عن الفاعل الحقيقي فهذه الأحداث العظيمة تحتاج الى فاعل عظيم، ولما كان الكفار ينكرون الله تعالى فهذه الأفعال تحفزهم للبحث عن الفاعل، وكذا في قوله تعالى ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ [سورة الواقعة: ١٩] إذ استعمل الفعلين منفيين وبناه مرة للمجهول لكي يصرف الذهن الى الفاعل، والى هذه النعمة الغريبة التي

(٤١) ينظر: من أسرار العربية في البيان القرآني/ د. عائشة عبد الرحمن ٥٣ -٥٦.

لا تكون إلا من عند الله تعالى فإلى هذه الخمرة التي لا يصاب شاربها بالصداع، ولا ينزف عقله ينصرف ذهن المتلقي ليزداد إيماناً.

دلالة التكرار:

يعد التكرار من الظواهر التي تتسم بها اللغات عامة ولغتنا العربية خاصة[٤٢]، وهو وجه من وجوه البلاغة والإعجاز، ما نطق بها أحد قبل القرآن الكريم فوجد فيه تلك الطلاوة والحلاوة التي تكتنف النص القرآني في أثناء التكرار إذ جاء نغماً جديداً من أنغام الحسن فضلاً عن الأنغام السارية في ذلك الدعاء[٤٣]. كما عد عنصراً من عناصر تكوين الإيقاع في النص الديني فضلاً عن دلالاته المعنوية التي تضفي على النص جرساً ونغماً يؤدي إلى تقوية المعنى و إيضاحه[٤٤]، على أن التكرار يأتي لدلالات عدة منها: الترسيخ والتثبيت، والتنبيه، والتأكيد[٤٥] ولم تخل سورة الواقعة من هذه الظاهرة الأسلوبية التي أضفت عليها قيماً تعبيرية ودلالية أديت بإعادة العبارة وترديدها فضلاً عن تكرار الحرف.

ومن تكرار العبارة قوله تعالى ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴾ [٨ -٩]، ويدل هذا التكرار على التعجب من حال الفريقين كما ألمع الى ذلك البيضاوي بقوله ((والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما بإقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين))[٤٦].

ومن تكرار الحرف قوله ﴿ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [٤٧] إذ ((كررت الهمزة للدلالة على إنكار البعث مطلقاً وخصوصاً في هذا الوقت كما

(٤٢) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق/ د. صبحي إبراهيم الفقي ٢/ ١١.

(٤٣) ينظر: إعجاز القرآن/ د. عبد الكريم الخطيب ٣٧٣.

(٤٤) ينظر: سحر النص –قراءة في بنية الإيقاع القرآني/ د. عبد الواحد زيارة ٨٩.

(٤٥) ينظر: قراءة لغوية ونقدية في الصحيفة السجادية ١٩٣.

(٤٦) تفسير البيضاوي ٤/ ٢٣١.

دخلت العاطف في قوله ﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ للدلالة على أن ذلك أشد إنكارا في حقهم لتقدم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن في لمبعوثون...))[٤٧] وكذا قوله ﴿ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴾ [٥٢] ((من الأولى للابتداء والثانية للبيان))[٤٨].

الخاتمة:

تعرف الدلالة النحوية بأنها الدلالة المتحصلة من العلاقات النحوية بين الكلمات التي يتخذ كل منها موقعاً معيناً في الجملة بحسب قوانين اللغة إذ إن كل كلمة في التركيب لابد أن يكون لها وظيفة نحوية من خلال موقعها، ولابد من مراعاة الجانب النحوي أو الوظيفة النحوية لكل كلمة داخل الجملة، وإن تغيير مكان الكلمات في الجملة يؤدي الى تغيير المعنى.

ولعل افتتاح السورة بالظرف المتضمن معنى الشرط يسترعي الانتباه لترقب ما بعد هذا الشرط الزماني مع ما في المسند إليه من التهويل بتوقع حدث عظيم يحدث. ثم تنتقل الآيات لاستعمال الفعل المضارع في بدايات الجمل الفعلية بوصفه شكلا من أشكال الاستقبال والتجدد في قوله تعالى ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ [سورة الواقعة: ١٧]، وقوله ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ [سورة الواقعة: ١٩]، وقوله ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴾ [سورة الواقعة: ٢٥].

والملاحظ أنه يراوح بين الجمل الفعلية المثبتة والجمل الفعلية المنفية، وذلك يوحي بدلالات التوكيد والتجدد في الحدث، ويؤكد ذلك التكرار في النفي (لا يصدعون)، (ولا ينزفون) فقد برز أسلوب التوكيد اللفظي في السورة لما يحمله هذا الأسلوب من إيحاءات دلالية قرآنية تؤكد الحدث، وتؤكد للمؤمنين ديمومة نعيم الجنة.

وتراوحت الجمل في السورة بين الاسمية والفعلية، وتنوعت بين الماضي الدال على الاستقرار والثبات ولاسيما

(٤٧) نفسه ٤/ ٢٣٥.

(٤٨) نفسه، المكان نفسه.

في تقرير وقوع الواقعة والمضارع بين معلوم ومجهول فضلاً عن تكرار الجمل المثبتة والمنفية، وقد جاء النفي لتأكيد المعنى أو لتأكيد النفي عن السابقين وحالهم الثابتة في الجنة.

أما الأسماء فقد دلّت على معنى الثبات والاستقرار نحو قوله تعالى ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴾ [سورة الواقعة: ١٦] فلم يقل: يتكئون وكذا لم يقل: يتقابلون لأنّ الفعل يدل على عدم الاستقرار، وتتوالى الجمل الاسمية ولاسيما المؤكدة بـ (إنّ) كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ﴾ [سورة الواقعة: ٣٥]، وقوله ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ [سورة الواقعة: ٤٥]، وقوله ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [سورة الواقعة: ٤٩-٥٠]، وقوله ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [سورة الواقعة: ٧٦].

وفي دلالات التعريف والتنكير ما يكشف عن إعجاز القرآن الكريم وعظيم بيانه فقد لجأت السورة الى التعريف والتنكير بناءً على ماهية الاسم ومدى شيوع تناوله فإذا كانت الكلمة حاضرة في الذهن جعل حضورها قريباً من المعرفة مثال ذلك الواقعة التي جاءت معرفة؛ لأنّ مدلولها حاضر الذهن إذ تشير الى يوم عظيم هو يوم القيامة وتوالت الكلمات التي تقترب من المعنى نفسه في سور أخرى مثل: الطامة والقارعة والحاقة، وقد جاءت هذه الأسماء معرفةً تعظيماً أو تهويلاً لشأنها، ومن هنا جاءت أسماء (الميمنة، والمشأمة، والسابقون، واليمين، والشمال، والجبال وغيرها) معرفة للسبب نفسه.

أما الكلمات التي جاءت منكرة ففي الغالب هي أسماء غير معروفة أو قد تكون من الأمور الغيبية التي لا تعرف حقيقتها على وجه الدقة ففي التنكير مجال للخيال الإنساني في أن يحلق في أجواء النعيم الذي ينتظره السابقون المقربون فهم يستحقون التكريم في وصفهم بكونهم (متكئين، ومتقابلين، وعلى سرر موضونة، ووالدان مخلدون، بأكواب وأباريق، وحور عين، لغواً ولا

تأثيماً، سلاماً سلاماً، وطلح منضود، وظل ممدود)، وغيرها من الكلمات التي تعج بها السورة المباركة فهذه النعم التي يحظى بها المقربون تعد من الغيبيات التي لا يدركها البصر بل تتخيلها البصيرة فهي في سياق المؤمنين تدل على التعظيم والتكريم، وفي سياق الكافرين والمنافقين تدل على التحقير والتهويل والإهانة.

وفي البناء للمجهول الذي يكثر في آيات القيامة في عموم القرآن فضلاً عما ورد في هذه السورة في قوله تعالى ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ [سورة الواقعة: ٤ -٥] دلالة على الترفع عن ذكر الفاعل مما يحفز الذهن للبحث عن الفاعل الحقيقي فهذه الأحداث العظيمة تحتاج الى فاعل عظيم، ولما كان الكفار ينكرون الله تعالى فهذه الأفعال تحفزهم للبحث عن الفاعل، وكذا في قوله تعالى ﴿ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴾ [سورة الواقعة: ١٩] إذ استعمل الفعلين منفيين وبناه مرة للمجهول لكي يصرف الذهن الى الفاعل، والى هذه النعمة الغريبة التي لا تكون إلا من عند الله تعالى فإلى هذه الخمرة التي لا يصاب شاربها بالصداع، ولا ينزف عقله ينصرف ذهن المتلقي ليزداد إيماناً.

وفي دلالة التكرار الذي يجيء نغماً جديداً من أنغام الحسن كما عد عنصراً من عناصر تكوين الإيقاع في النص الديني فضلاً عن دلالاته المعنوية التي تضفي على النص جرساً ونغماً يؤدي إلى تقوية المعنى و إيضاحه[٤٩]، على أن التكرار يأتي لدلالات عدة منها: الترسيخ والتثبيت، والتنبيه، والتأكيد[٥٠] ولم تخل سورة الواقعة من هذه الظاهرة الأسلوبية التي أضفت عليها قيماً تعبيرية ودلالية أديت بإعادة العبارة وترديدها فضلاً عن تكرار الحرف، ومن تكرار العبارة قوله تعالى ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴾ [٨ -٩]، ويدل هذا

(٤٩) ينظر: سحر النص -قراءة في بنية الإيقاع القرآني ٨٩.

(٥٠) ينظر: قراءة لغوية ونقدية في الصحيفة السجادية ١٩٣.

التكرار على التعجب من حال الفريقين والتفخيم من أمرهما، ومن تكرار الحرف قوله ﴿ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [٤٧] إذ كررت الهمزة للدلالة على إنكار البعث مطلقاً ولاسيما في هذا الوقت كما دخلت العاطف في قوله ﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ للدلالة على أن ذلك أشد إنكارا في حقهم لتقدم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن في لمبعوثون.